توطئـــة

فى صيف ١٩٨٢ دعانى المجلس البريطانى مشرفاً أكاديمياً على دورة تدريبية طويلة الأجل لأمناء المكتبات الجامعية والوطنية فى ويلز بكلية المكتبات فى ابرستوث ، ولما كنت قد أبليت بلاءً حسناً فى هذه الدورة أدى إلى نجاحها نجاحاً منقطع النظير أثبته المجلس البريطانى فى التقرير الذى رفعه إلى الجهات المختصة فى بريطانيا ومصر . لذلك قدم لى المجلس البريطانى منحة مفتوحة فى العام التالى ١٩٨٣ وترك لى حرية اختيار موضوع البحث الذى أعمل فيه ووضع خطة الدراسة والرحلات العلمية والمقابلات التى أقوم بها داخل بريطانيا .

ولما كنت قد اشتغلت بدراسة النشر والببليومتريقا فى فترة مبكرة من حياتى العلمية فقد انصرفت نيتى أثناء تلك المنحة إلى القيام بدراسة مقارنة لوضع الكتاب فى أنحاء متفرقة من العالم . وقد تجمع لدى مادة علمية غزيرة فى هذا الشأن أضفت إليها مادة علمية سابقة على المنحة . وفى أثناء المنحة قمت بالعديد من الزيارات والمقابلات والمشاهدات فى : اتحاد الناشرين - اتحاد باعة الكتب ، رابطة الكتاب الوطنى ، مدارس المكتبات والمعلومات ، المكتبات المتخصصة فى النشر والكتاب ... إلى جانب القراءات المستفيضة التى قمت بها . وكانت حصيلة ذلك كله مئات من الصفحات رأيت توزيعها على أربعة مجلدات : الأول عن الكتاب الدولى والثانى عن الكتاب فى الدول النامية والثالث عن الكتاب فى العالم العربى والرابع عن الكتاب فى مصر .

وعندما عدت من بريطانيا فى نوفمبر ١٩٨٣ استأنفت تجميع المادة العلمية فى نفس الاتجاهات طوال أعوام ١٩٨٤ ، ١٩٨٥ ، ١٩٨٦ . وبدأت فى تحديث أرقامها وبياناتها وإعدادها للطبع طوال عام ١٩٨٩ . وكان لوجودى فى جامعة قطر فى العام الجامعى ٨٦ / ١٩٨٧ أثر كبير فى إنجاز قسم عظيم من هذا العمل حيث تتوافر المصادر ويتاح الهدوء والوقت اللازم للتفكير والبحث والتأمل .

والمجلد الأول الذى بين أيدينا الآن يقع فى اثنتى عشرة كراسة : خصصت الأولى للمفاهيم والمعانى ، والثانية للصورة العامة للكتاب الدولى . أما الكراسات من الثالثة

حتى الثانية عشرة فقد انصرفت إلى دراسة وضع الكتاب فى دول مختلفة ثمان منها من أكبر عشرة دول منتجة للكتاب فى العالم فى الوقت الراهن وهى : الاتحاد السوفيتى – الولايات المتحدة – ألمانيا الغربية – بريطانيا – اليابان – فرنسا – الصين – أسبانيا . وهى تمثل أساساً عصب الدول المتقدمة فى العالم المعاصر . وحتى تكتمل صورة الكتاب الدولى أضفت إلى هذه الدول : الهند ، وألمانيا الشرقية وهولندا .

ورغم أن تأثير ألمانيا الشرقية فى صورة الكتاب الدولى تأثير ضعيف إلا أن معالجة النشر فيها كانت ضرورية لأنها جزء متمم لألمانيا الغربية ، وكانت ألمانيا الموحدة قبل الحرب الثانية وعلى مدى خمسة قرون الدولة الرائدة فى ميدان النشر ففيها اخترعت الطباعة ومنها انطلقت إلى جميع أنحاء العالم . ولذلك أدرجت ألمانيا الشرقية مع الغربية فى كراسة واحدة .

والهند تمثل نموذجاً فريداً على تذبذب حركة نشر الكتاب بين الانخفاض والارتفاع ، بين المد والجزر ، بين الامكانيات المحلية والمساعدات الخارجية ، وهى مثال للدول النامية فى مشاكلها وطموحاتها .

أما هولندا فهى مثال حى على دولة صغيرة جدا فى المساحة قليلة فى عدد السكان ، لغتها الوطنية ضعيفة الانتشار خارج حدودها ولكنها ذات إنتاج فكرى غزير قياسا إلى تلك المتغيرات ، وطموحات لاحد لها على مستوى الكتاب الدولى .

ومن هنا تتمثل فى هذا المجلد الأبعاد المكانية ، والأبعاد الاجتماعية ، والأبعاد الفكرية والمادية للكتاب الدولى . وبالتالى تتكامل صور هذا الكتاب بكل أبعادها .

وفى دراسة مقارنة كهذه الدراسة راعيت توزيع المادة العلمية فى كل كراسة على ركائز ثابتة مشتركة بقدر الإمكان حيث تبدأ كل كراسة ببعض المعلومات العامة عن الدولة إذ النظام السياسى والإجتماعى والتعليمى والمساحة وعدد السكان هى الخلفية الطبيعية التى تعمل فيها حركة النشر وبها تتأثر إلى أبعد حد . بعد هذه الخلفية نعالج تاريخ النشر فى الدولة ذلك أن العمق التاريخى ضرورى لتفسير كثير من الظواهر الحاضرة .

وتنقسم معالجة النشر الحاضر داخل كل دولة إلى حلقاته الثلاث ففى حلقة التأليف نصادف دراسة عددية ونوعية للإنتاج الفكرى ومثلها للمترجمات وتتبع

بدراسة حق المؤلف والوكالة الأدبية . وفى حلقة النشر والطبع نصادف دراسة الناشرين والمنظمات العاملة فى المجال ثم تصميم وطباعة ومواد إنتاج الكتاب ، وأكثر من هذا العلاقات العامة فى النشر تمهيداً للدخول فى الحلقة الثالثة والأخيرة . وهى حلقة التسويق أو التوزيع ، عنق الزجاجة فى عملية النشر . وعالجت فيها أدق دقائق التوزيع مثل : تجارة الجملة ، وتجارة التجزئة ، والتصدير والاستيراد ، وتجارة الكتب القديمة ، ونوادى الكتب والمعارض ... وختمت الدراسة داخل كل دولة بالضبط الببليوجرافى لكتاب تلك الدولة والإعداد المهنى للعاملين فى النشر بالدولة .

والحقيقة أننى فى هذا العمل مدين بالفضل لشخصين فى المجلس البريطانى هما السيد / ديفيد سبلر David Spiller الذى كان ممثلاً للمجلس البريطانى فى القاهرة فى ذلك الوقت ، والآنسة كلير هولامبى Clare Hollamby المسئولة عن الأساتذة الزائرين بالمجلس فى لندن ، فلهما منى خالص الشكر وأجزله ؛ فالأول رتب للمنحة وتابعها من القاهرة والثانية رتبت لإقامتى ومقابلاتى فى بريطانيا ، وكان لمجهوداتهما أطيب الأثر فى جعل إقامتى فى بريطانيا فعالة ومثمرة أثناء جمع المادة العلمية لهذا العمل .

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب والكتب التى تتلوه .

شعبـان خليفـة

ابرستوث - الجيزة - الدوحـة
١٩٨٣ - ١٩٨٩